ثم حد صلى الله عليه وسلم مسيلته وعجب من فصاحته حيث قال له
لقد سألت عن عظيم اي عن محل عظيم اما الان عظم المسبب يستدعي
عظيم اما لانه عظم المسبب ودخول الجنة والتباعد عن النار امر عظيم
سببه امتثال كل مامور واجتناب كل محظور وذلك عظيم صعب
قطعا ولولا ذلك لما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
ولا تجد اكثرهم شاكرين واما من حيث صعوبته على النفوس
وعدم وفايتها غالبا بما يطلب له وفيه من الوسائل والمقاصد الواجبة
والمندوبة واجلها الاخلاص اذ هو روح العمل واسه المقوم له واني
به فانه لا يوجد كماله الا للشاذ النادر من العاملين ولعزته كان مما
استأثر الله تعالى به فانه لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا وليس المراد استعظام جزائه ونتيجته فقط بدليل
قوله وانه ليسير على من يسره الله عليه بتوفيقه الى القيام
بالطاعات على ما ينبغي وشرح صدره الى السعي فيما يكمله ويقربه
من ربه تعالى مع تهيئته اسباب ذلك فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام وهدايته الى صفا نفسه عن كدوراتها فعزبت
عن سائر مالوفاتها وشهواتها وطمحت الى علي احوالها وصفاتها
وترقت عن سفساف اخلاقها وحضيض اوصافها الى غايات
الكمال ونهايات الجلال ثم فسر ذلك الامر العظيم بقوله تعبد الله
تعالى اي توحده في حال كونك لا تشرك به شيئا او تاتي بجميع
انواع العبادة في حال كونك مخلصا له بان تقصد بها وجهه تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وتقيم الصلاة هو وما بعده من عطف المغايرة على المعنى الاول
وعليه فيكون قد ذكر له التوحيد واعمال الاسلام والخاص على العام
على المعنى الثاني وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت مر الكلام
على ذلك مستوفى في شرح الحديث الثاني والثالث ثم قال له صلى
الله

الله عليه وسلم الا ادلك عرض نحو هل ادلكم على تجارة الاية اي عرضت
ذلك عليك فهل تحبه وفيه غاية التشويق الى ما سيذكره له ليكون
اوقع في نفسه وابلغ في ملازمته واحث على تفرغها لاستفادته
على ابواب الخير فيه زيادة ذلك التشويق والمراد بالخير هنا ضد
الشر ثم الاضافة اما كانت بيانية لان المراد بها الاعمال الصالحة
التي يتوصل بها الى اعمال اخرى اكمل منها كما استفيد من تسميتها ابوابا
فهو من المجاز البليغ لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس تقريرا لما مر
انفا واوثر فيها جمع القلة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد
نشاطه واقباله هذا ما ظهر لي وهو اولى من قول بعضهم انما اوثر
لانه ليس له جمع كثرة كاذان واقسام واقلام وان كانت بمعنى اللام كان
المراد به الخير العظيم والثواب الجسيم وبها سائر الاعمال الصالحة ويدل
للثاني رواية ابن ماجة الا ادلك على ابواب الجنة وللاول تخصيصه
بعض الاعمال بالذكر بقوله الصوم اي الاكثار من نفله لان فرضه
مر ذكره قريبا جنة بضم الجيم من جن اذا استتر اي هو مجن وستر
ووقاية لك من النار في الاجل ومن استيلاء الشهوات والغفلات عليك
في العاجل وذلك باب اي وسيلة اي وسيلة الى صفاء الاحوال
ووقوع افضل الاعمال على نهاية الكمال ومن ثم قال تعالى الصوم لي
وانا اجزي به وقال تعالى يدع طعامه وشرابه من اجلي فانا اجزي
به وفي الكتاب العزيز انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والصائمون منهم اذ الصوم الصبر عن ملاذ شهواته والمالوفات
والصدقة اي نفلها لان فرضها مر قريبا ايضا تطفئ اي تمحو واستعار
له لفظ الاطفا لمقابلته بقوله كما الى اخره او ان الخطيئة يترتب عليها
العقاب الذي هو اثر الغضب المستعمل فيه الاطفا يقال اطفا غضبه
لما مر انه فوران دم القلب عن غلبة الحرارة الخطيئة اي الصغيرة
المتعلقة بحق الله لما علم من القواعد ان الكبيرة لا يطفيها الا التوبة

Copyright © King Saud University